فاطمة الزهراء عليها السلام النموذج الكامل للمرأة

<"xml encoding="UTF-8?>

كان بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) أروع نموذج في الصفاء والإخلاص والمودّة والرحمة ، تعاونا فيه بوئام وحنان على إدارة شؤون البيت وإنجاز أعماله .إنّ الزهراء خرّيجة مدرسة الوحي ، وهي تعلم أنّ مكان المرأة من المواقع المهمّة في الإسلام ، وإذا ما تخلّت عنه وسرحت في الميادين الأُخرى عجزت عن القيام بوظائف تربية الأبناء كما ينبغي .

لقد كانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) تبذل قصارى جهدها لإسعاد أُسرتها ، ولم تستثقل أداء مهام البيت ، رغم كلّ الصعوبات والمشاق ، حتّى أنّ علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) رقّ لحالها وامتدح صنعها ، وقال لرجل من بني سعد : (ألا أُحدّثك عنّي وعن فاطمة ، إنّها كانت عندي وكانت من أحبّ أهله (صلى الله عليه وآله) إليه ، وإنّها استقت بالقربة حتّى أثّر في صدرها ، وطحنت بالرحى حتّى مجلت يداها ، وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها ، وأوقدت النار تحت القدر حتّى دكنت ثيابها ، فأصابها من ذلك ضرر شديد .

فقلت لها : لو أتيت أباكِ فسألتيه خادماً يكفيكِ ضرّ ما أنتِ فيه من هذا العمل ، فأتت النبي (صلى الله عليه وآله) فوجدت عنده حدّاثاً فاستحت فانصرفت) .قال الإمام علي (عليه السلام) : (فَعلم النبي (صلى الله عليه وآله) أنّها جاءت لحاجة) .قال الإمام علي (عليه السلام) : (فغدا علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونحن في لِفاعنا ، فقال (صلى الله عليه وآله) : السلام عليكم ، فقلت : وعليك السلام يا رسول الله أُدخل ، فلم يعد أن يجلس عندنا ، فقال (صلى الله عليه وآله) : يا فاطمة ، ما كانت حاجتك أمس عند محمّد) ؟

قال الإمام علي (عليه السلام) : (فخشيت إن لم تجبه أن يقوم ، فقلت : أنا والله أُخبرك يا رسول الله ، إنّها استقت بالقربة حتّى أثّرت في صدرها ، وجرّت بالرحى حتّى مجلت يداها ، وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها ، وأوقدت النار تحت القدر حتّى دكنت ثيابها .فقلت لها : لو أتيتِ أباكِ فسألتيه خادماً يكفيك ضرّ ما أنت فيه من هذا العمل ، فقال (صلى الله عليه وآله) : أفلا أُعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم ، إذا أخذتما منامكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين وأحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبّرا أربعاً وثلاثين) .

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (مَضَيتِ تريدين من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الدنيا ، فأعطانا الله ثواب الآخرة) .

وروي أنّه دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على علي (عليه السلام) فوجده هو وفاطمة (عليهما السلام) يطحنان في الجاروش ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : (أيّكما أعيى) ؟ فقال الإمام علي (عليه السلام) : (فاطمة يا رسول الله) .فقال (صلى الله عليه وآله) : (قومي يا بنية) ، فقامت وجلس النبي (صلى الله عليه وآله) موضعها مع الإمام علي (عليه السلام) فواساه في طحن الحبّ .

وروي عن جابر الأنصاري أنّه رأى النبي (صلى الله عليه وآله) فاطمة وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها ، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : (يا بنتاه ، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة) .فقالت (عليها السلام) : (يا رسول الله ، الحمد لله على نعمائه ، والشكر لله على آلائهِ) ، فأنزل الله تعالى (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) الضحى : ٥ .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : (كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتطب ويستقي ويكنس ، وكانت فاطمة (عليها السلام) تطحن وتعجن وتخبز) .

وعن أسماء بنت عميس عن فاطمة (عليها السلام) : (أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) أتى يوماً فقال : أين ابناي) ؟ يعني حسناً وحسيناً ، (فقلت : أصبحنا وليس عندنا في بيتنا شيء يذوقه ذائق .

فقال الإمام علي (عليه السلام) : اذهب بهما إلى فلان ؟ فتوجّه إليهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوجدهما يلعبان في مشربة بين أيديهما فضل من تمر ، فقال (صلى الله عليه وآله) : يا علي ، ألا تقلب إبنيّ قبل أن يشتدّ الحرّ عليهما ؟ فقال الإمام علي (عليه السلام) : أصبحنا وليس في بيتنا شيء ، فلو جلست يا رسول الله حتّى أجمع لفاطمة تمرات ، فلمّا اجتمع له شيء من التمر جعله في حجره ثمّ عاد إلى البيت) .

هذه هي الدنيا في عين فاطمة (عليها السلام) مواجهة للمعاناة ، وتألّم من الجوع ، وانهيار من التعب ، ولكن كلّ ذلك يبدو ممزوجاً بحلاوة الصبر وندى الإيثار ، لأنّ وراءه نعيماً لا انتهاء له ، حصة يوم يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب .

إنّ إلقاء نظرة فاحصة على حياة الزهراء (عليها السلام) توضّح لنا أنّ حياتها الشاقّة لم تتغيّر حتّى بعد أن أصبحت موفورة المال ، في سعة من العيش ـ خصوصاً بعد فتح بني النضير وخيبر وتمليكها فدكاً وغيرها ـ عمّا كانت عليه قبل ذلك رغم غلّتها الوافرة ، إذ روي أنّ فدكاً كان دخلها أربعة وعشرين ألف دينار ، وفي رواية سبعين ألف دينار سنوياً .

فالزهراء (عليها السلام) لم تعمّر الدور ، ولم تبن القصور ، ولم تلبس الحرير والديباج ، ولم تَقْتَنِ النفائس ، بل كانت تنفق كلّ ذلك على الفقراء والمساكين ، وفي سبيل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام .